الياس الزيات يُجدد نفسه بعد السبعين:

تعبيرية صوفية موضوعاتها وأدواتها من الشرق

دمشق ـ «القدس العربي» ـ من أنور بدر:

الياس الزيات من جيل الرواد المؤسسين للمشهد التشكيلي المعاصر في سورية. ولد عام 1935 ودرس الرسم في بلغاريا ومصر وهنغاريا، واطلع على أهم المقتنيات الفنية في متاحف العالم، ثم عاد لدراسة التراث الفني القديم للمنطقة في المتاحف السورية.

اهتم الياس الزيات منذ الخمسينيات وحتى الآن بالفن الشرقي القديم، وبفن الأيقونة السورية من خلال أبحاثه وإبداعاته الفنية، كما أولى عناية خاصة بتقنيات ترميم الأيقونات واللوحات الفنية، وساهم في ترميم الأيقونات واللوحات الجدارية في الأديرة، بالإضافة لمساهمته في ترميم لوحات مُعاصريه كلوحات زميله الفنان الراحل فاتح المدرس الموجودة الآن في معرض دمشق الدولي كما كتب عنه الناقد سعد القاسم مُضيفاً:

«لقد مرّت تجربة الياس الزيات بعدة مراحل من الواقعية إلى التعبيرية فالتجريد، إلى أن امتلكت خصوصيتها الإبداعية المتسمة برؤية ملحمية».

«القدس العربي» التقت الفنان الزيات على هامش افتتاح معرضه الأخير في «غاليري أتاسي» حيث عرض أعماله الجديدة التي تعود لعامي (2005 ـ 2006) وكتب في البروشور حول هذا المعرض: «إنني اعتبره خلاصة ما كسبته في الحياة والفن، وحتى أحدد قصدي من هذه اللوحات أقول انها تمثل رؤيتي فيما بلغته بعد السبعين، وهي أعمال أطرحها للحوار وللتواصل مع جيل الفنانين الشباب الذي كما يقول جبران: هم أبناء الحياة وبناتها في حنينها إلى نفسها..».

■ الياس الزيات يعرض لنا اليوم جديده، ولكن من الجميل بعد السبعين أن تدعنا نعود إلى البدايات؟

■ **البدايات أضحت الآن قديمة، تعود إلى علاقتي بالفنان الرائد الكبير ميشيل كرشة، كان يعلمني ويصلّح لي، ويشرف على نتاجي لمدة ثلاث سنوات، حتى سافرت إلى بلغاريا والتحقت بأكاديمية الفنون الجميلة، ومن حسن حظيّ أنني وقعت على أساتذة بلغار سبق لهم الدراسة على أيدي أساتذة الواقعية الألمانية في ألمانيا، وهذه المدرسة رغم تزامنها مع المرحلة الشيوعية إلا أنها احتفظت بخصوصيتها المميزة عن الواقعية الاشتراكية التي سادت في تلك المرحلة، والواقعية الألمانية تعود إلى القرن التاسع عشر. في هذه الأكاديمية تعلمت أصول الرسم بشكل جيد.**

بينما تعرّفت على الألوان والعلاقات اللونية عن طريق المدرسة الفرنسية «ماتيس ـ بيكاسو..» هؤلاء المجددين، كما قرأت كتب «كاندينسكي» هذا المنظر للفن المعاصر وللعلاقات اللونية، هؤلاء جميعهم فجروا طاقات اللون.. وفيما بعد عرفت أنهم استلهموا هذه الميزة من علاقتهم مع الشرق والفنون الشرقية عامة، والمنطقة العربية من ضمنها. هذا المزج بين الحضارات والأساليب استهواني كثيراً، ورأيت أنني كإنسان عربي أنتمي إلى هذه المنطقة وإلى حضاراتها القديمة، فإن تميزي لا يكمن في المعاصرة فقط، ولكن برؤيتي الشرقية أو المحلية لهذه المعاصرة.

«الراقصتان»

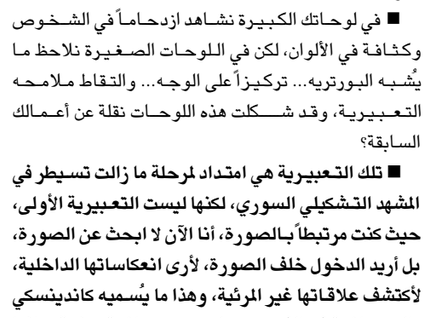

الياس الزيات في معرضه

تعكس حالة الفرح كما في لوحات «المجدلية» أو «الراقصتان».

في معرضي السابق حاولت اكتشاف الرموز، في لحظات الضيق... عندما لا تستطيع الخروج من جلدك، فإلى أين تذهب؟

أنا وجدت أنّ العصفور الطائر هو الإنسان نفسه، وكذلك الحصان المشرئب، كلها رموز تساعدني على الخروج من اللوحة، وأردت أن اصطحب المشاهد معي. كذلك هذا المعرض ذهبت إلى عوالم داخلية للنفس البشرية. الصوفية التي تحدثت عنها، ورغبت أيضاً في اصطحاب مشاهدي معي. فأنا أهتم كثيراً بالمشاهد، وارغب في محاورته دون أن أقدم له تنازلات فنية، لكنني أشاغب عليه بود كي أقوده إلى عوالم اللوحة.

■ في لوحاتك الكبيرة نشاهد ازدحاماً في الشخوص وكثافة في الألوان، لكن في اللوحات الصغيرة نلاحظ ما يُشبه البورتريه... تركيزاً على الوجه... والتقاط ملامحه التعبيرية، وقد شكلت هذه اللوحات نقلة عن أعمالك السابقة؟

■ **تلك التعبيرية هي امتداد لمرحلة ما زالت تسيطر في المشهد التشكيلي السوري، لكنها ليست التعبيرية الأولى، حيث كنت مرتبطاً بالصورة، أنا الآن لا ابحث عن الصورة، بل أريد الدخول خلف الصورة، لأرى انعكاساتها الداخلية، لأكتشف علاقاتها غير المرئية، وهذا ما يُسميه كاندينسكي «الروحانية في الفن» وهي ليست روحانية دينية، وإنما روحانية داخلية مُبدعة في الفن والأدب.**

■ يُلاحظ أنّ الزيات انتقل من التعبيرية إلى التجريد دون أن يشكل قطعاً ما بينهما؟

■ **لأنني لم أصبح تجريديا بمعنى إلغاء الشكل، ولم استطع ذلك، وإنما استفدت من التجريدية، ورجعت إلى الشكل الإنساني، فالشكل الإنساني يهمني كثيراً، وأعتقد بقدرتي على التعبير من خلاله، ولكن بطريقة تجريدية. وعموماً لم يعد الآن وجود لتلك الحدود بين المدارس، فأنت تستطيع أن ترسم ما تريد.**

■ عدم قدرتك على الخروج عن الشكل الإنساني، هل له علاقة باشتغالك على فن الأيقونة؟

■ **تنتمي الأيقونة إلى حدٍ كبير إلى عوالم التجريد، لأنها تتضمن الرمز، والرمز هو صيغة بين الواقع والتجريد.**

الأيقونة بمفهومها الأصلي كما وضعناه نحن الشرقيين، هي هذه القطعة التأملية التي تقرأ بالبصيرة أكثر مما تقرأ بحرفيتها، وهذا ما استفدت منه بالنسبة للأيقونة، لم أهتم بصنميتها وإنما برمزيتها التي تقود المتأمل، وهي لا تقرأ إلا بمرافقة النص، باعتبارها نصاً مرسوماً، وهذا بالضبط له علاقة بجذر فن الأيقونة الشرقي، المصري، السوري، الرافدي... ما شئت، لكنه ليس فن الأيقونة البيزنطي.

وربما يفسر هذا الشيء سيطرة الشكل الإنساني في لوحاتي، شكل يتحوّر ضمن رؤية شرقية، وهذا التحوير هو أساس الإبداع، لأنّ الكاميرا الفوتوغرافية والتلفزيونية قد وفرتا على الفنان نقل الواقع، وأصبح تقليد الأشياء فيه شيئا كبيرا من ضياع الوقت، وهذا يفسح المجال أمام الفنان كي يحوّر بغية المزيد من التعبيرية المبدعة.

نحتاج إلى العالم الآخر الباطني لتحقيق توازننا في هذه الحياة.

لذلك عندما أحتاج إلى لحظة تأمل أو صلاة فإنني أذهب إلى الجامع الأموي، أو مقام محي الدين بن عربي، رغم أنني لا أعرف طقوس الصلاة، إلا أنني أجيد التأمل، وهكذا أعيش العالم الآخر الذي يكمل العالم الزمني المعاش لدينا. هكذا أنا .. وهذا ما أرسمه. لذلك أقول لك إنها ليست صوفية دينية، إنها صوفية «ابن عربي» وحتى «مريم المجدلية»... صوفية لها علاقة بتراث المنطقة. أنا لم أحاول رؤية «المجدلية» في مستوى النص الديني أو في علاقتها بالخطيئة، بل كنت أبحث عن ذلك الوجه الكامن في دواخلنا، كمون تراثي ومثيولوجي، فأنا لا أرسم رسماً توضيحياً، بل رسماً منفعلاً.

■ أليس اشتغالك على موضوعة اليد في هذا المعرض استمراراً لتلك الرؤيا؟

■ **بالضبط، وقديماً قيل الإنسان هو وجه ويد، أو بشكل أدق «الإنسان في عينه ويده»، في اليد توجد عين، وهناك كف مع وجه مغمض العينين، لو لاحظت فنوننا القديمة فإنك تكتشف تركيزاً على الوجه، وفي الوجه جرى التركيز على العين، لأنّ الإنسان عينه أيضاً، لذلك عندما رسمت اليد كنت أتأمل هذه اليد في حركاتها وفي عمارتها أيضاً، لأنّ اليد ليست حالة ثابتة، ومن طقوس المنطقة أن يُقرأ مصير الإنسان أو قدره من خطوط كفه.**

■ أعتقد أنّ الياس الزيات استطاع في معرضيه الأخيرين أن يجدد ذاته على مستوى الموضوعات والأدوات، كما استطاع أن يُعيد إلينا حالة الدهشة أو الفرح في ألوانه المائية تحديدا؟

■ **البداية في الحالة الداخلية التي تسيطر عليّ كفنان وتدفعني إلى الورق والألوان المائية دون سواها، هذه الألوان تعطي شفافية جميلة تستطيع أن**

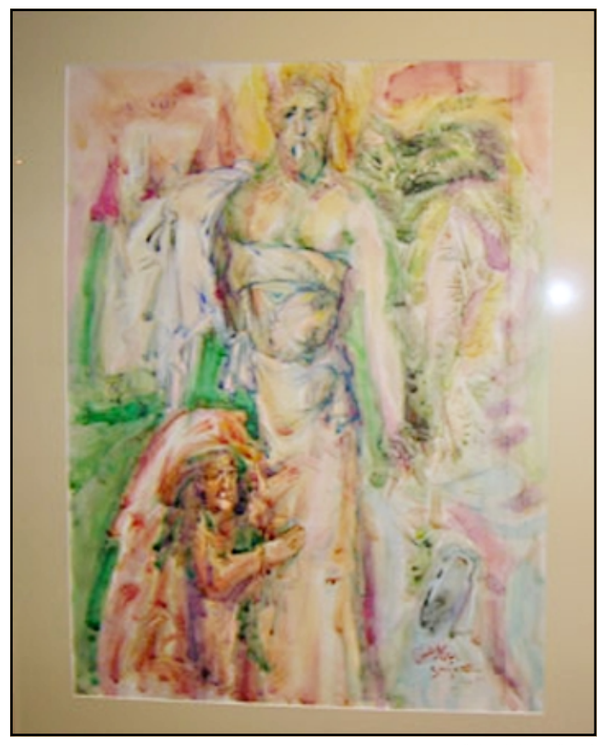

لوحة «رؤيا المجدلية»

نتائج مسابقة المهرجان العربي الأوروبي الثالث للصور الفوتوغرافية

هامبورغ ـ من عدنان حسين أحمد.

أعلن اتحاد المصورين العرب في أوروبا نتائج مسابقة المهرجان العربي الأوروبي الثالث للصور الفوتوغرافية الذي يقام في مدينة هامبورغ الألمانية عام 2006. وقد شارك في هذه المسابقة الدولية « 314» مصوراً يمثلون « 21» دولة عربية وأوروبية، بينما بلغ عدد الصور المتنافسة على الجوائز الثلاث الذهبية والفضية والبرونزية « 3037» صورة. وقد انهمك أعضاء لجنة التحكيم على مدى ستة أيام لفرز الصور المرشحة للمسابقة، ومن ثم فرز الصور الفائزة بالجوائز الرئيسة الثلاث، فضلاً عن الجوائز التقديرية التي أسندت إلى العديد من الصور الناجحة فنياً. وقد تألفت لجنة التحكيم لهذا العام من سبعة أشخاص من اختصاصات مختلفة يتوفرون على خبرات فنية عالية في مجال التصوير الفوتوغرافي وهم الألماني فولفغانغ هوبه، والجزائرية راضية علّونة، والألماني لوثر سيغلر، والفرنسية آنا فلوروا، والأردني فتحي أبو الطبول، والمصري عبد الله أيوب، والعراقي عزيز القزّاز. وقد قسّمت لجنة التحكيم الأعمال المشاركة إلى تسعة محاور، وتم تخصيص ثلاث جوائز لكل محور فضلاً عن الجوائز التقديرية.

ونظراً لحجم المشاركة الواسعة وكثرة الصور الناجحة فنياً فقد منحت الجوائز الثلاث لأكثر من فائز كي يتم استيعاب زخم الفائزين. ففي محور الصور الشخصية «البورتريه» فاز بالميدالية الذهبية كل من الإماراتية منال بن عمرو، والسعودي عيسى الحمودي، والمصري شادي عدلي محمود، بينما فاز بالفضية عيسى الطنيجي، والبحريني علي ثامر، والقطري عبد الرحمن سامي السبعي.

وفي محور الطبيعة والبيئة فاز بالميدالية الذهبية المصور العراقي المحترف باسم العزاوي، والسعودية سحر حمد الموسى. وفي محور الصور الفنية نال الذهبية كل من القطري عبد الله حمدان المناعي والبحريني سعيد منصور عيسى، بينما نال الفضية الكويتي عبد الله مرافي. وفي محور الصور السياحية والتراثية حاز على الذهبية القطري سالم المسلم، وحظيت بالفضية الكويتية شذى عبد الرضا القلاف. أما محور الصورة الصحافية فقد خطف الذهبية السعودي عامر الهلابي، بينما فاز بالفضية العراقي بشار عدنان عبد الله. وفي محور الإنسان والعمل أسندت الذهبية إلى كل من السوري نور جلمبو، والبحريني عبد الله عبد علي. أما جائزة الصور الرياضية فقد منحت للكويتي خليل أحمد حسين والقطري علي عيسى النعيمي. في حين ذهبت جائزة الصور المعمارية إلى المصري السيد محمد المحجوب، والبحريني علي ثامر. أما محور الطفولة، وهو المحور التاسع والأخير فقد ذهبت جوائزه الذهبية إلى القطريين عارف محمد أحمد حسن ومحمد ثابت. وقد ركزّت اللجنة في معرض تقييمها للصور الفائزة على براعة المصوّر في اختياره للموضوع، وتوزيع الضوء، وزاوية التقاط الصورة، ونقاء ووضوح الصورة، والرؤية الفنية لنقل الحدث وتوثيقه. وقد وجّه اتحاد المصورين العرب في أوروبا دعوة إلى كافة المصورين المشاركين لحضور حفل توزيع الجوائز على الفائزين يوم الثلاثاء المصادف 2006/7/11 في مبنى ولاية هامبورغ حيث سيحضر الحفل السيد أوله فن بويست رئيس وزراء حكومة ولاية هامبورغ، وعدد من ضيوف الشرف في مقدمتهم الشيخة مي آل خليفة من مملكة البحرين، و د. بثينة شعبان، وزيرة المغتربين في الجمهورية العربية السورية، والسيد رانهاردت شتوت، رئيس العلاقات الخارجية في حكومة ولاية هامبورغ، وممثل الحكومة لدى الاتحاد الاوروبي الذي سيمنح الجوائز للفائزين، وبحضور العديد من السفراء والقناصل العرب والأجانب.

لوحة عطاء لباسم العزاوي

تداعيات

باريس.. قبلات تحت المطر

لنا عبد الرحمن*

1

في فرنسا... باريس، شارع «السان ميشيل» مساء.. المكان مزدحم بوجوه من كل الالوان، أوروبيون، عرب، أفارقة، آسيويون .المحلات تشرع ابوابها للزبائن، باعة الأنتيكات والتحف يعرضون بضائعهم بشكل جذاب يلفت الانتباه، طاولات المقاهي الصغيرة صغيرة ومتقاربة تطل على الشارع والجارسونات يختفون ويعودون في يدهم صينية لتقديم القهوة «الكافيه نوا» أي قهوة سوداء أو الشاي بنكهات الفواكه المختلفة أو النعناع. يبوح الشارع ببعض خفاياه في انقسامه بين الشارع الرئيسي المطل على محطة ميترو «السان ميشيل» ومقهى «الرحيل» الذي يجاورها، وبين الأحياء الداخلية الاكثر ضيقا وسرية، حيث المطاعم والمقاهي العربية بين لبنانية ومصرية ومغربية، يسهل التمييز بينها فورا من قائمة الأطعمة المعروضة.

على بوابة إحدى المحلات خلف الزجاج الشفاف تبدو صواني البقلاوة والنمورة وقطع الملبن والكعك وأمام كل نوع إسمه بالعربية، لم يخطر في بالي أنني سأصادف هذه الأشياء في باريس، بجانب أحد الانواع وضعت كلمة «كعب الغزال» إنها نوع حلوى مغربية، أدخل للمحل أبادر بالكلام بالعربية رغم سؤاله لي بالفرنسية عما أريد، أجيبه بالعربي «كعب الغزال» يتحدث معي عربي مغربي، لا أستطيع التميز بين التونسية والجزائرية. أسأله عن هويته يقول «من تونس» يسألني عن هويتي اجيبه «لبنان» يعلق قائلا: «نحنا نحبكم برشا برشا، ونحب نانسي عجرم «أشكر الله على وجود نانسي على هذا الكوكب لتسبب هذه المحبة والتآلف بين الشعوب العربية، وهنا تحديدا في قلب باريس يتم تذكرها من بائع شاب لدى ذكر لبنان». أهم بالمغادرة ومعي قطعة من كعب الغزال ثمنها يورو واحد، فيما سواح أوروبيين يقفون أمام الزجاج الخارجي ويتشاورون حول النوع الذي يختارونه.

أدلف الى قلب الشارع، مطاعم صغيرة بأضواء خافتة وشموع، أذكر قول صديقتي إن السان ميشيل جزء من الحي اللاتيني، تتزاحم ظلال الأبطال في مخيلتي، وأنا أخمن أن همنغواي قد جال في هذه الشوارع الصغيرة والمرصوفة بحجارة كبيرة ومربعة، ربما كان يجلس في أحد الأماكن حين قال «إذا أتاك الحظ بما فيه الكفاية لتعيش في باريس وأنت شاب فإن ذكراها ستبقى في مخيلتك الى الأبد لأن باريس وليمة متنقلة». يلوح لي أيضا خيال بطل «الحي اللاتيني» وأخمن أنه ارتاد هذه الشوارع مرارا قبل أن يقرر السفر والتخلي عن محبوبته، أحس بغصة لأنني لن أتمكن سوى من رؤية الأشياء بعيني فقط خلال إقامتي في باريس، لن يكون عندي الوقت لرؤية الحكايات أو لكتابتها، أحاول التجول في «السان ميشيل» أكثر من مرة أملي عيني من الأزقة الضيقة، من باعة الأرصفة الذين يعرضون بضائعهم من لوحات تشكيلية من كل العصور وتذكارات باريسية مغرية.

أعبر الى الشارع الرئيسي بجوار التمثال الكبير في «السان ميشيل» الذي يشكل شلال ماء في ذات الوقت، أشاهد الكثير من الناس، وجوه.. وجوه.. كلها متعطشة لرؤية باريس،رذاذ المطر يختلط من المياه المتدفقة من الشلال فيما عاشقان يتبادلان قبلات صغيرة. تميل الفتاة على كتف رفيقها تبتسم. يحتضنها عند الخصر، يتبادلان النظرات ويسيران مبتعدين. لم يخمنا أن هناك من يرقبهما. وبما لو شاهدهما «أبولينير» لما قال «لا الزمن يعود ولا الأحبة يرجعون».

2

أقف في شرفتي.

أنتظر المطر، لا يأتي، أصاب بحيرة، لطالما ظننت أن لا ربيع في باريس، لكن الشمس خذلتني، وبدت رغبتي لرؤية أمطار باريس مؤجلة حتى الأيام الاخيرة. السماء زرقاء تتماوج بأزرق شفاف بين غيوم بيضاء.

الشانزيليزيه في الصباح.

ليست العلاقة مع هذا الشارع إحساسا بالدهشة بقدر ما هي رغبة في الرؤية، الرؤية غير الاكتشاف، في «الشانزيليزيه» تتأكد أكثر من هويتك كسائح ينظر بعينين متسعتين وقلب مفتوح الى العوالم الرئيسية، «قوس النصر» عند البداية، مقهى «فوكية» «المولان روج» الشهير، محلات «لوي فوتون» الفخمة. لكن بعد تجاوز هذه الأماكن التي ينبغي عليك رؤيتها بحكم شهرتها، ستجد حديقة عامة على يمين الشارع، بمقاعد خشبية تحت الأشجار. بدا الناس سعداء في هذا اليوم المشمس. افترشوا الأرض ضمن نزهة ربيعية عابرة في أيام مغادرة المطر.

أنضم لرواد الحديقة، أختار أحد المقاعد الخشبية بجوار عائلة فرنسية، فيما شابة عشرينية تتمدد على المقعد تغمض عينيها معرضة وجهها للشمس، إمرأة أخرى تنهمك في قراءة كتاب، مجموعة من الفتيات يفرشن بساطا على العشب ويتبادلن سندويشات خبز «الباغيت» الفرنسي.

أعبر بوابة الحديقة نحو الشارع، تلفت انتباهي فتاة محجبة برفقة شاب، أسألها أولا بالعربية أن تلتفت لي صورة بجوار الحديقة، تهز رأسها أنها لا تفهمني، أكرر كلماتي بالانكليزي، تبتسم وتأخذ الكاميرا مني، أسألها عن بلدها، تقول لي قبل أن تبتعد «تركيا». أتابع سيري، أفضل أن لا أستقل المترو رغم لذة الاكتشاف والرهبة كلما صعدت إليه وأنا أخشى اختيار الاتجاه المعاكس، أمشي باتجاه ميدان الكونكورد، أخمن أن المسافة قريبة. فوج من الشبان المتظاهرين يتجهون نحوي، يحملون لافتات ويهتفون، يا له من حدث مثير، قررت السؤال عن سبب المظاهرة، لكن القسم الأول من المتظاهرين بدا عليهم الانهماك بالهتاف، قبل مرور المتظاهر الأخير من الموكب الذي كان منهمكا في الحديث مع زميله سألته عن سبب المظاهرة، ابتسم وأردفني بسؤال إن كنت إسبانية، هززت رأسي نفيا، تابعت سيري وأنا اضحك. لقد ظن أنني أعاكسه.

إنها الشانزيليزيه التي يقام فيها العرض العسكري السنوي، تخليدا لذكرى سقوط سجن الباستيل في 14 تموز/ يوليو 1892، وفيها تنتهي كل عام جميع المظاهرات الرياضية الكبرى (كسباق الدرجات وماراثون باريس)، وفيها أيضا يلتقي الفرنسيون للاحتفالات الشعبية (كليلة رأس السنة التي احتشد فيها اكثر من مليون شخص للاحتفال بنهاية عام 2000، وقرابة المليون واربعمائة ألف شخص يوم فازت فرنسا ببطولة العالم لكرة القدم فى تموز/ يوليو 1998)، وهي ككل ركن من أركان المدينة ذات تاريخ عريق، إلا أن المكان لم يأخذ إسمه الحالي قبل سنة 1709، وظل يعتبر في نهاية القرن 18 كمكان غير آمن ولا آهل... وحين قام البلاط بمنحه للمدينة عام 1828، تم رصفه وإضاءته بالمصابيح الغازية... ثم ولسبب غير واضح، اختارته المؤسسات التجارية مقرا لها، ليصبح مكان النزهة المفضل للأرستقراطية الباريسية.

3

فاتنة بجنون

غابة بولونيا صباح الاحد.

أسير في طرق الغابة المتعرجة، الساحرة بغموض آسر يستمد ألقه من تمازج حكايا التاريخ.

لا يمكن لكل هذا الجمال الوحشي للطبيعة أن يكون صناعيا، لكن هذه هي الحقيقة.

هنا سارت الأميرات والفرسان ليختبئوا عن أعين الرقباء.....

هنا شهدت هذه الغابة لحظات حب وقصص وله يائس، ونساء متزوجات يلتقين بعشاقهن سرا.... يا لها من مكان آمن حقا....

إنها الغابة التي ظلت مخبأ للعصابات حتى عام 1556 الى أن قرر هنري الثامن إحاطتها بثمانية بوابات، ثم وأثناء الثورة الفرنسية أصبحت من جديد المكان الآمن للمطاردين والفقراء وقطاع الطرق، وبحلول عام 1815 أقامت الجيوش الروسية والانكليزية معسكراتها فيها، وأفسدت مساحات ضخمة منها، لتظل متآكلة حتى تنازل نابليون الثالث عن الغابة للمدينة، وهدم السور المحيط بها أثناء إعادة التخطيط المعماري لباريس.

الآن.. غابة بولونيا ذات وجهين.... نهاري وليلي.

في النهار، وفي أيام الآحاد المشمسة تكون مكانا مناسبا للنزهات العائلية وللعشاق حيث تراهم يفترشون العشب ويتبادلون القبل، فيما بجوارهم تماما إمرأة تنادي على طفلها وهو يلعب بالكرة.

أما في الليل.. فشارع الغابة الرئيسي والفسحات الأولية منها عنوان ثابت لفتيات الليل، حيث تراهن يرتدين الملابس الخفيفة جدا رغم برد باريس القارس.

إنها باريس.... مدينة الهواء النقي، والضجيج الهادئ.....

مدينة تعشقها منذ اللحظات الاولى، وتشتاق إليها قبل مغادرتها.

وداعا مدينة هوغو.. سارتر.. وديبفوار.

* كاتبة من لبنان